صوت الحجاز ١٣٥٠ – ١٣٦٠
البلاد السعودية ١٣٦٥/٢ – ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٨٣
البلاد ALBILAD ١٤٣٤

صور من التاريخ

مطار الرياض بجانب الملز

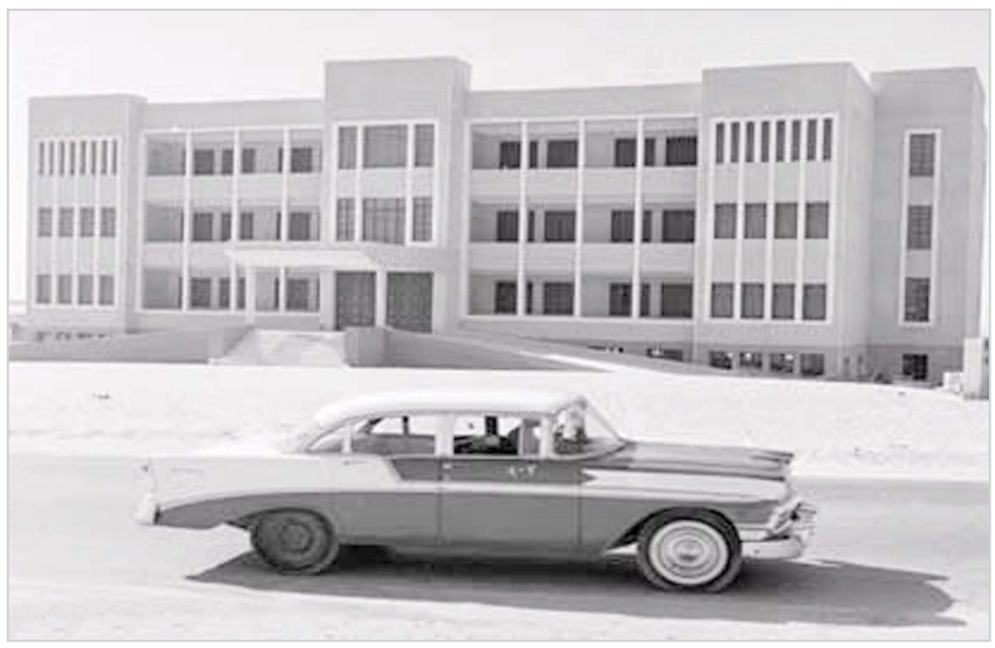

بلدية الخبر

هذه المواد نشرت بتاريخ 3 - 3- 1381هـ 15/ 8/ 1961م

المال.. والأدب.. والمكان

بقلم: محمد مصطفى حمام

يس طه

صديقي السيد يس طه واحد من اولئك الضاحكين للحياة المداعبين حينا المشاغبين احيانا.

وقد جربت فيما جربت ان المرء لا يداعب الا من يحب واذ كنت واحدا من "ضحايا" مداعباته وقد انضم الى في هذه الصفة صفة "الضحايا" او "الاهداف" على الاقل الصديق الاستاذ ابو تراب الظاهري، فما من شك في ان كلينا من المحبوبين لدى الاستاذ يس ، الشاغلين حيزا غير ضيق من قلبه ومن فكره.

وفي مقاله الذي حمل هذا العنوان "المال ، والادب ، والمكان" روى قصة اديب من جلاس مقهى "الحرية" بالقاهرة اتخذ في احد الايام مجلسه امام احدى مناضد المقهي ووزع نفسه على الكراسي المحيطة بالمنضدة فجسمه على كرسي وطربوشه على آخر ، وشترته على ثالث، وحافظة اوراقه على رابع ثم بسط امامه بعض الاوراق واستل قلمه وجعل ينفث منه على الكروس شعرا ونثرا وزجلا، يستلهما فيما ينشيء وما يروي وكؤوسا دهاقا، لا تحوى شيئا وما يروى وكؤوسا دهاقا لا تحتوي شيئا مما حرم الله بل تحمل رحيق البن اي القهوة التركية التي يعلوها غشاء ابيض وهو في الشراب الحلال خير من ذلك الذي يتغنى به شاربو الحرام.

ثم اقبل رجل اتخذ كرسيا بجانب المنضدة نفسها في مواجهة الاديب وهذا الرجل ما كاد يهل على المقهى حتى انحني بين يديه الخدم ووتحرك للسلام عليه عدد من الرواد ووضح من مظاهر الحفاوة التي قوبل بها انه من ذوي المال والجاه او من ذويهما معا ثم بدا من ردوده على انتحيات انه ليس مصريا لأن نطقه العربي مشوب بلكنه اقرب ما تكون الى لكنة اليونان المتمصرين.

جلس الرجل دون ان يحيى الاديب ولم يعبأ احدهما بالآخر.

وبعد قليل أدرك الشاعر سعال لا ينقطع حتى يعود ثم اشتد السعال حتى أزعج ذلك "المسيو" فرفع صوت الغضب في وجه الاديب قائلا "بزيادة بقى.. كفاية".

ورد الاديب بما معناه ان لا حق لاحد على الاعتراض على سعال لا خيار فيه لصاحبه، وكان "المسيو" جافاً الى الحد الذي اثار غيظ الحليم ، فلم يمنعه مظهر وجاهة خصمه من ان يمطره بشتائم بقوله "يلعن .. ولو كنت انت المسيو كوتسكا" وانبثقت من الافواه ضحكات اجبارية ابتسم "المسيو" بدلا من يهوي احد الكراسي على رأس الاديب ، ثم نظر اليه قائلا وما رأيك في انني انا المسيو كوتسكا فعلا؟!

فقال صاحبنا : لقد ارسلت عليك اللعنات دون ان اعرفك اما وقد اتضح انك كوتسكا صاحب الملايين ، ففي وجهك اعيد اللعنات ، خذها الان "حضوريا" لا "غيابيا" وحلت الضحكات محل العبثات وقام بين الرجلين وداداً كوداد العشيرة الاقربين.

روى الاخ يس هذه القصة وعرضها بطريقته الجذابة وكساها من مبالغاته كساء جعلتها الطف وارو‌ح ما تكون والان، لا ارى بأساً في التصريح بانني ذلك المعني بالقصة، وهي صحيحة بكل وقائعها الا ما اقتضاه الفن القصصي من ابتداعات ليس لي سوى الاعجاب بها.

حمام

القبعة الفرنسية

واذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد رد هذا الحادث الى ذهني ، حادثاً مماثلا . تحرك القطار ، من محطة بورسعيد "وذلك من نحو ٢٠ عاما" متجهاً الى القاهرة وبين ركابه الشيخ عبدالحميد النحاس ، الصحفي المصري ، والخطيب المصقع ، والمحدث الخفيف الروح رحمه الله واكرم عنده مثواه ، وبيده تذكرة ركوب بالدرجة الاولى ، لم يدفع ثمنها بل هي صحفية مجانية، ولم يجد في دواوين الدرجة الاولى مكاناً يجلس فيه ، لكنه رأى قبعة تحتل مكاناً بين النافذة وبين احد الركاب ، فقال لصاحبها : هل تسمح بأن تلبس القبعة لاجلس في مكانها ؟ فقال بلهجة عربية ركيكة كل الركاكة ما معناه ان راكبا آخر سيأتي من مكان آخر في القطار ويحتل مكان القبعة.

فسكت الشيخ وظل واقفا حتى اجتاز القطار محطة ثم اخرى وقد أعياه الوقوف فقال "للخواجا" أين ذلك الذي حجزت له المكان؟ فقال "الخواجا" في كبرياء وغلظة ما ترجمته : المكان للقبعة.

فضحك بقية الركاب وهم اربعة مطربشون واثنان معممان وكاد بعضهم يسقط على الارض من فرط ما ضحك.

واتجه الشيخ عبدالحميد الى القبعة فتناولها في يسر ثم القى بها من النافذة فسقطت في ترعة غامرة زاخرة وانطلقت بها الامواج السريعة الجريان.

وفغر صالحب القبعة فاه حين رأى الشيخ قد اخذ مكان القبعة وحمد الغيظ وجهه وجبينه ، والتمع في عينيه شرار وتوقع الركاب الآخرون شجارا تسيل فيه الدماء.

وقال الاستاذ لصاحب القبعة .ز لقد كان ما كان ، وكا كان في وسعي ازاء سوء ادبك، الا ما فعلت . ولك ان تشكوني الي الشرطة او الى سائر المحاكم ومن بينها محكمة العدل الدولية في لاهاي او الى عصبة الامم واذا شئت مشاجرة بالايدي فانا عند مشيئتك.

وصفق الركاب المصريون فالتفت الصحفي الخطيب اليهم قائلا : لقد كنتم اسوأ أدبا من ذه الخواجا، لقد تركتم مواطنكم العربي المسلم الشيخ المرتدي العمامة المتسم بسمة العلم والدين يهينه هذا الوغد من اجل قبعته التي لا تعلو الا رأسا نجسا آثما .. والآن تصفقون؟ ولو لم اكن اخذت حقي بيدي لتركتموني وانا العربي الاصيل مهانا لهذا الدخيل الثقيل .. أنتم انذال مهما تكن مناصبكم ومهما تكن ثرواتكم أنذاك ولو ان منكم حاكم متصرف في الرقاب.

وصمت المشتومون ، فقد اخرستهم كلمة الحق ، ثم اعتذروا الى الشيخ واحدا بعد واحد وصح ظنه بمناصبهم وثرواتهم فقد كان منهم واحد من اصحاب الملايين وكانت منهم وزير المالية في حكومة ذلك العقد.اما صاحب القبعة فلم يكن الا قنصل فرنسا في بورسعيد!!

وعندما وصل القطار الى القاهرة استنجد القنصل بالشرطة وجرى تحقيق ذكرت فيه الوقائع ، وشهد الشهود بما جرى وارسل سفير فرنسا في مصر مذكرة الى الحكومة المصرية وهكذا صار حادث القبعة اوزمة ديبلوماسية! لكن الازمة لم تنته بقدوم الجيوش والاساطيل الفرنسية الى المياه المصرية بل انتهت بنقل القنصل الى ايران ، وبسلامة الشيخ وصينت الكرامة العربية وهزمت القبعة الفرنسية!!

×××

وسيسألني السيد يس عن رأيي فيما رمى اليه عنوان مقاله "المال، والادب، والمكان" فلينتظر رأيي في مقال آخر، ان بقيت من العمر بقية.

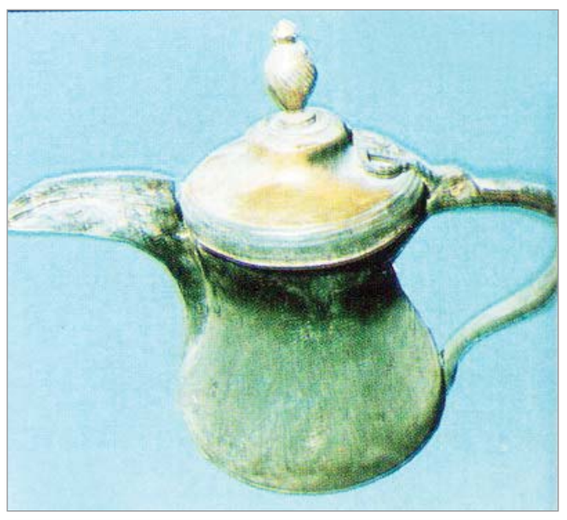

الدلة الحساوية

الدلة الحجازية

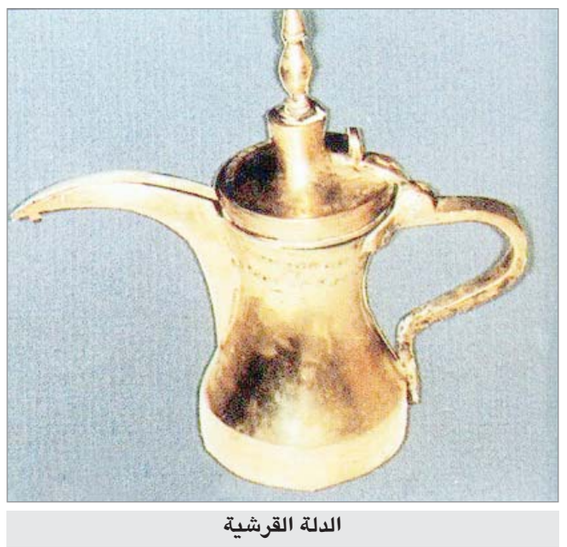

الدلة القرشية